الطولونيون وموقفهم في الدفاع عن الدولة الاسلامية

الدكتور : علي عبد الحسين الثعالبي

المديرية العامة لتربية ميسان

المقدمــة:

ازيلت اسرة بني امية عن مسرح السياسة في المنطقة بعد سقوط الدولة التي سميت باسمهم والتي كان من اهم صفاتها انها كانت دولة قومية اعتمدت العنصر العربي في تركيبها وبنيتها السياسية والادارية والعسكرية، وبزوال دولة الامويين حلت محلها دولة اخرى سميت هي الاخرى باسم الاسرة التي اسستها، إلا ان اهم ما يميز الدولة الجديدة هو ان بنيتها اختلفت عن سابقتها اختلافا اساسياً فقد ادخل العباسيون العنصر الاجنبي في البنية التأسيسة للدولة فاصبحت صبغة الدولة الجديدة اممية بعد كونها عربية واستمرت الدولة العباسية اكثر من خمسة قرون شهدت خلالها حقباً من العظمة والسؤدد وتمتع خلفائها بمظاهر القوة والشدة والترف ومرت الدولة خلالها بمراحل الازدهار والحضارة ، كما شهدت مراحل من الضعف والتفكك ومرت على خلفائها حقب من الضعف والبؤس والاذلال وفي كلتا الحالتين ضعف الخلافة وقوتها كان الامر ينعكس بشكل او آخر في مركز الدولة وعلى اطرافها وظهرت العديد من محاولات تأسيس الدويلات ونزعتها الى الاستقلال ومنها الدولة الطولونية التي قامت في طرف من اهم اطراف الدولة العباسية ألا وهو البلاد المصرية ومن ثم بلاد الشام –كما سيمر– وقد كان لطبيعة العلاقة بين العاصمة العباسية ومصر تأثير مباشر وخطيرا على بلاد الشام عامة وعلى شريط الثغور والمدن الثغرية المحاددة للبيزنطيين بشكل خاص وتأتي خصوصية تلك العلاقة من طبيعة العلاقة العلاقة بين الدولتين العباسية والبزنطية التي اتسمت في اغلب مراحلها انها كانت تتميز بالحروب والغزوات ، ومن خصوصية العلاقة بين مصر وبلاد الشام وتأثر وتأثير احداهما بالاخرى بشكل مباشر وبشكل غير مباشر، ومن هنا جاء هذا البحث لبيان ذلك ولتسليط الضوء على سياسة كل من الدولتين العباسية والطولونية تجاه الاخرى وسياسة وموقف كل منهما تجاه منطقة بلاد الشام والثغور من ناحية وتجاه الدولة البيزنطية ورسم العلاقة معها من جانب آخر ، كما يبين موقف ولاة مدن الثغور وسكان تلك الاسقاع من الخطر البيزنطي ومن القوتين العباسية التي مثلت المركز الروحي والشرعي للمسلمين ومن الدولة الطولونية التي عدت في حقبة من الحقب الدولة الراعية والحامية لمناطق الثغور في الجبهة الغربية

وبحسب مقتضيات الموضوع فقد انقسم البحث على خمسة مباحث : تناول الاول منها طبيعة تأسيس الدولة العباسية والظروف التي دعت العناصر الاجنبية المكونة لها للسعي الى تأسيس دول مستقلة او شبه مستقلة

كالدولة الطولونية ، اما المبحث الثاني فقد تناول بايجاز سيرة ابن طولون وظهوره على مسرح السياسة والعوامل التي ساعدته للوصول الى حكم مصر ، وكان مما لا بد منه لبيان جوانب الوضوع المرور ولو بشكل موجز على جغرافية المنطقة الثغرية بمدنها وحدودها وامتداداتها

واهميتها في استراتيجية الهجوم والدفاع في الدولة العباسية وهو ما ورد في المبحث الثالث ، واما المبحث الرابع فقد سلط الضوء على سياسة احمد بن طولون للسيطرة

ومد نفوذه على منطقة بلاد الشام وثغورها والظروف السياسية التي مكنته من تحقيق ذلك ، فضلاً عن موقف مدن الثغور من الطولونيين، وحنكة ابن طولون في الوصول الى غايته واخضاع تلك المنطقة تحت جناحه ، اما المبحث الخامس والاخير فقد بين طبيعة العلاقة بين الدولة الطولونية والخلافة العباسية في المدة موضوع البحث التي غطت عهد الخليفة المعتمد على الله وركزت خلالها على امرين هامين اولهما : العلاقة السيئة بين الخليفة المعتمد واخيه ابا احمد الموفق وسيطرة الاخير على مقاليد الامور من ناحية وآثار ذلك على العلاقة بالدولة الطولونية بقيادة ابن طولون والتي اتسمت بالسوء ايضاً منذ بداياتها وسياسة القوتين العباسية والطولونية من الدولة البيزنطية وبيان انعكاسات كل ذلك على منطقة الشام وثغورها .

المبحث الأول

((طبيعة النظام السياسي واثره في نشوء دول الاطراف))

بعيد قيام الدولة العباسية تطور نظام الخلافة وقد لعب الفرس دورا كبيراً في قيام الدولة العباسية وكانت الدولة العباسية من الناحية السياسية تتكون من عدة ولايات كان ابرزها ولايتي العراق ، ولاية الحجاز ، ولاية خراسان ، ولاية الشام ، ولاية مصر، ولاية المغرب ولاية ارمينية [١] ، ولما جاء ابو جعفر المنصور وضع اساس النظام السياسي الذي سارت عليه الدولة العباسية في عصرها الأول [٢].

لقد كان النظام الاداري في العصر العباسي الأول نظاما مركزياً وبمقتضى ذلك كان ولاة الاقاليم مجرد عمال بسلطات وصلاحيات محدودة يتبعون مباشرة للحكومة المركزية [٣]، وكان الخليفة او وزير التفويض هم

(١) ينظر على سبيل المثال ، خليفة بن خياط، ابو عمرو بن ابي هبيرة الليثي العصفري (ت ٢٤٠هـ/ م)، تريخ خليفة بن خياط ، تحقيق ،د. اكرم ضياء العمري (ط٢ مزيدة ومنقحة ، دار طيبة ، الرياض ١٩٨٥م) ص ٤١٢-٤١٤، الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير(٣١٠هـ/٩٢٢م) ، تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق ، محمد ابو الفضل ابراهيم ،(سلسلة ذخائر العرب -٣٠- ط٢ منقحة ، دار المعارف ،مصر ١٩٧٥م)،ج٧،ص١٤١وما بعدها ، ابن الأثير ابو الحسن علي بن أبي الكرم بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ،الكامل في التاريخ، راجعه وصححه د. محمد يوسف الدقاق (ط١،دار الكتب ، بيروت ١٩٨٧م)، ج٥،ص١٥وما بعدها ، ولمزيد الاطلاع ينظر، بيطار ، د. امينة ، تاريخ العصر العباسي (ط٤، دمشق ١٩٩٦-١٩٩٧م)، ص١٧وما بعدها، وص٣٢٧ وما بعدها.

(٢) ينظر،الطبري ،تاريخ الرسل، ج٧،ص٤٧١وما بعدها، ابن الأثير، الكامل ، ج٥،ص٩٩ وما بعدها، حسن ، د. حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسي الديني والثقافي والاجتماعي (ط١٤، دار الجيل ، بيروت ١٩٩٦م) ج٢، ص٢٠٦وما بعدها.

(٣) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، ج٢،ص٢١٦.

من يختار عمال الاقاليم دون منحهم صلاحيات مدنية وقضائية واسعة ، فلم تكن مهمة الوالي في عهد المنصور اكثر من وظيفة صورية لذلك فإنه كان الى جانب الوالي ، القاضي وصاحب البريد وصاحب بيت المال ،وكان عمل الوالي في الغالب يقتصر على الصلاة وقيادة الجند [٤] .

ومنذ ان اخذ العباسيون يميلون الى الاعتماد على العنصر التركي والاكثار منهم على حساب العرب والفرس واتخذوا منهم فرقا من الجند الذين تزايد نفوذهم وسطوتهم سيما في عهد الخليفة المعتصم وخاصة بعد قراره اسقاط العرب والفرس من ديوان العطاء[٥] ، واعتماده على الاتراك بشكل كبير كما ومنحهم الامتيازات الكبيرة مثال ذلك انه اقطع اشناس التركي ولاية مصر[٦] واذن له ان يولي الحكام بنفسه وكان يذكر اسمه مع الخليفة في خطبة الجمعة [٧]، ومنذ سنة ٢٢٧هـ كان تحت حكم اشناس دولة تمتد من بغداد حتى اخر حدود المغرب كما ضرب السكة باسمه ونقش اسمه على الموازين والمكاييل وبقي واليا لمصر حتى وفاته سنة ٢٣٠هـ/ [٨] واقطع الواثق مصر لايتاخ التركي الذي توسعت سلطته في عهد المتوكل بعد ان فوض اليه امر الكوفة وتهامة والحجاز ومكة والمدينة فضلا عن مصر [٩]،وبعد مقتل ايتاخ على يد المتوكل امر ان تكون ولاية مصر لولده وولي عهده المنتصر، وظل الاخير في العاصمة ومنها يولي ويعزل الحكام على مصر[١٠]، ومنهم تركي اخر هو يزيد ابن عبد الله الذي ظل حتى خلافة المعتز الذي عزله وعين مزاحم بن خاقان . وقد جرت العادة ان يولي الخلفاء العباسيون الولايات البعيدة بعض افراد البيت العباسي واكابر القواد غير ان هؤلاء آثروا البقاء في العاصمة العباسية وانابوا عنهم من يحكمون هذه الولايات باسمهم ، ولم يكن هذا التقليد يشكل خطرا على الدولة العباسية في عصرها الاول وهي في اوج قوتها ، ولكن بدأ خطر ذلك

(٤) ينظر الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد ابن حبيب البصري (ت ٤٥٠هـ) ، الاحكام السلطانية ، تحقيق ، احمد نجاد(دار الحديث ، القاهرة ٢٠٠٦م) ، ص٦٣، ، الكندي ، محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ)، كتاب الولاة وكتاب القضاة ، تصحيح ، رفن كست (مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨م) ، ص١٠وما بعدها ، حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ،ج٢،ص٢١٦.

(٥) ينظر، الطبري ، تاريخ الرسل ،ج٩،ص١١وما بعدها، ابن الأثير ، الكامل ،ج٦، ص٢٢وما بعدها .

(٦) الكندي ، الولاة وكتاب القضاة ،ص١٩٤، ابن الطقطقا ، محمد بن علي بن طباطبا (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م) ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية(دار صادر ، بيروت د.ت) ،ص٢٣١،

(٧) الكندي ، الولاة والقضاة ، ص١٩٤،

(٨) ينظر، القضاعي ، محمد بن سلامة بن بن جعفر (ت ٤٥٤هـ)، تاريخ القضاعي ،كتاب عيون المعارف وفنون اخبار الخلائف ، تحقيق ، د، جميل عبد الله محمد المصري (المملكة العربية السعودية ١٩٩٥م) ص٤٤٦ ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٦، ص٦٧، ولمزيد الاطلاع ، ينظر، كاشف ، د، سيدة اسماعيل ، احمد بن طولون (إعلام العرب ، رقم ٤٨، المؤسسة المصرية للنشر والتأليف ،د،ت)،ص٤١- ٤٢.

(٩) الكندي ، الولاة والقضاة ، ص١٩٦، القضاعي ، تاريخ القضاعي ، ص٤٥٠-٤٥٥، ابن الاثير ، الكامل ، ج٦، ص٧٧،وايتاخ غلاما حوريا يعمل طباخاًاشتراه المعتصم سنة ١٩٩ هـ وارتفع شأنه في عهد المعتصم والواثق فكان المعتصم اذا اراد قتل احد قتله بيد ايتاخ واذا اراد حبسه احد حبسه ايتاخ حتى صار في عهد المتوكل بمرتبته واليه الجيش والبريد والاموال ودار الخلافة وغيرها ، ينظر ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص١٠١.

(١٠) الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٩، ص١٦٨-١٧٠، الكندي ، الولاة والقضاة ، ص١٩٨ وما بعدها، القضاعي ، تاريخ القضاعي ،ص٤٥٥-٤٥٦، ابن الاثير ، الكامل ، ج٦، ص١٠٣.

يظهرويتصاعد مع تزايد ضعف الخلافة في عصرها الثاني ، فبعد مقتل المتوكل امسك الاتراك بزمام الامور في اقاليم الدولة العباسية فضلاً عن عاصمتها وأخذ نفوذهم يزيد يوما بعد آخر مع تزايد عدد ولاتهم ، ومن المعروف ان هؤلاء القواد هم ايضاً لم يكونوا يباشرون ادارة الاقاليم بانفسهم بل يديرونها عن بعد بواسطة من يختارونه نائباً عنهم ليظلوا هم في العاصمة لمراقبة اوضاعها عن كثب وليأمنوا دسائس القصور ومؤامراتها فضلا عن استقوائهم ببني قومهم اذا طرأ طارىء ، الامر الذي اتاح الفرصة لنوابهم كي ينتهزوا فرصة انشغالهم في النزاع على السلطة ، ليقوموا هم من جانبهم بتأسيس دولا مستقلة او شبيهة بذلك ومن تلك الدول الدولة الطولونية في مصر ثم الشام [١١] .

وعلى اية حال فقد ذكر الماوردي ان الامارة على الاقاليم من حيث الصلاحيات الممنوحة للوالي او من حيث طريقة حصوله على تلك الولاية كانت على ثلاثة انواع : فإذا قلد الخليفة أميراً على اقليم او بلد كانت امارته على ضربين : خاصة وعامة :

الامارة او الولاية الخاصة: وهي ان يقوم الخليفة بحصر عمل الوالي بتدبير الجيوش وسياسة الرعية وحماية البيضة والذب عن الحريم دون التعرض للقضاء والاحكام او الجباية والصدقات.

الامارة او الولاية العامة وهي على نوعين:

١/ امارة استكفاء: وتكون بعقد عن اختيار وتناط فيها بالوالي سبعة مهام هي :تدبير الجيوش وتقدير ارزاقهم ، النظر في الاحكام وتقليد القضاة والحكام ،جباية الخراج وقبض الصدقات وتوزيعها على مستحقيها وتقليد العمال المسؤولين عن ذلك،حماية الدين والذب عن الحريم ،اقامة الحدود في حق الله وحق الناس ، الإمامة في الجمع والجماعات ، تسيير الحجيج وتعيين المسؤوليين عن ذلك ، واذا كان الاقليم ثغرا متاخما للعدو اقترن بالولاية مهمة اخرى ثامنة وهي جهاد الاعداء وفي حال الظفر تقسيم الغنائم واخراج خمسها وتوزيعه على مستحقيه .

٢/ إمارة إستيلاء : بعقد عن اضطرار وهي استيلاء احد الامراء قسراً على ولاية من الولايات ما يضطر الخليفة الى اقراره عليها وتفويض امر ادارتها اليه[١٢] .

المبحث الثاني

((احمد بن طولون، نسبه ، نشأته ، ظهوره على المسرح السياسي))

(١١) الكندي ، الولاة والقضاة ، ص٢٠٨، القضاعي ، تاريخ القضاعي ،ص٤٥٩وص٤٦٣وص٤٦٧، وينظر، امينة بيطار ، تاريخ العصر العباسي ، ص٣٢٧.

(١٢) الاحكام السلطانية ، ص٦٢-٦٤.

كان طولون مملوكا تركيا من منغوليا ويقال انه كان ضمن الجزية التي ارسلها حاكم بخارى الى البلاط العباسي ويروى ايضا انه كان مملوكا لنوح بن اسد والي بخارى ثم اعتقه واهداه الى الخليفة المأمون [١٣]،وعلى اية حال فقد دخل طولون الى بغداد حوالي سنة ٢٠٠هـ – ٨١٦م وكان قد برز في الفنون العسكرية فتدرج حتى صار من حرس الخليفة اما ابنه احمد فقد ولد سنة ٢٢٠هـ /٨٣٥م [١٤]وفي سنة ٢٤٠هـ/ ٨٤٥م توفي والده طولون فتزوجت امه من بغا الاصغر احد زعماء الاتراك وامين بلاط بني العباس ثم تزوجت من باكباك او بايكبال الذي خلف بغا في وظيفة الامين في البلاط العباسي والظاهر ان احمد واخيه موسى لقيا العناية الملائمة من القادة الاتراك بعد وفاة والدهما واكبر الظن انهما تلقيا التعليم العسكري الذي اعتاد تلقيه ضباط الجند الترك في ذلك الحين والذي يؤهلهم في جند الخليفة ، الا ان احمد اولى اهتماما واضحا بدراسة الفقه والحديث وعلوم الدين وانتظم في الوقت نفسه في الجندية [١٥]، وخرج الى مدينة طرسوس ليلتقي علمائها وفقهائها ويأخذ عنهم [١٦].ثم عاد الى سامراء العاصمة بعد مقتل المتوكل وتولي المستعين للخلافة سنة ٢٤٨هـ / ٨٦١ م وفي طريق عودته انظم الى قافلة تحمل بضائع ثمينة للخليفة الجديد فتعرض قطاع الطرق للقافلة وبفضل جرأة ابن طولون وشجاعته تم انقاذ القافلة ورجالها الامر الذي جعل لابن طولون مكانة لدى المستعين الذي اكرمه بالهدايا والصلات ومن بينها جارية تدعى مياس اصبحت فيما بعد زوجته التي ولدت له ابنه ابا الجيش خمارويه [١٧]، وذكر البلوي ان علاقة احمد بن طولون كانت قد توثقت بالخليفة المستعين لدرجة ان القادة الاتراك لما عزموا على خلع الاخير ومبايعة المعتز ثم قرروا نفيه الى مدينة واسط طلب المستعين من هؤلاء القادة ان يكون ابن طولون رفيقه في تلك الرحلة ولم يلق طلبه معارضة من جانب الأتراك الذين كانوا بدورهم يكنون الاحترام لابن طولون [١٨]، وذكر البلوي ايضاً ان الاتراك وقبيحة ام الخليفة المعتز لما عزموا على قتل المستعين طلبت قبيحة من احمد ابن طولون ان يقوم هو بتلك المهمة مقابل منحه ولاية واسط قائلة:

(١٣) ينظر، البلوي ،عبد الله بن محمد المديني (ت، منتصف القرن الرابع)، سيرة احمد بن طولون ، تحقيق، د. محمد كرد علي (مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د،ت) ص٣٣، ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١١٨٣م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق ، محمد عبد القادرومصطفى عبد القادر(ط١، دار الكتب ، بيروت ١٩٩٢م) ، ج١٢، ص٢٣٠-٢٣١، ابن خلكان ، شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر(ت ٦٨١هـ) ،وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق، د. احسان عباس (دار صادر ، بيروت د،ت) <١،ص١٧٣-١٧٤، ابن تغرى بردي ، جمال الدين ابي المحاسن يوسف ابن تغرى بردى الاتابكي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين (ط١، دار الكتب ، بيروت ١٩٩٢م)، ج٣، ص٣.

(١٤) ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ،ج٣، ص٣، ولمزيد الاطلاع على حياة ابن طولون ونشأته ينظر ، ايوب ،د. ابراهيم ، التاريخ العباسي السياسي والحضاري (ط١، بيروت ١٩٨٩م) ،ص١٧٧وما بعدها ، مأمون ، جيهان ممدوح ، الدولة الطولونية والاخشيدية في مصر (ط١، سلسلة عصور مصرية ،مصر ٢٠٠٩م) ، ص٦.

(١٥) البلوي ، سيرة احمد بن طولون ،ص٣٥-٣٦، ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٣، ص٥-٦، ولمزيد الاطلاع ينظر ، امينة بيطار، تاريخ العصر العباسي ، ص٢٩٠ وما بعدها،

(١٦) البلوي ، سيرة احمد بن طولون ،ص٣٥- ٣٦ ،بن الجوزي ، المنتظم ، ج١٢، ص٢.

(١٧) ينظر، سيرة احمد بن طولون ، ص٣٨-٣٩، ابن الجوزي ، المنتظم ،ج١٢، ص٢٣١، ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٣، ص٧-٨.

(١٨) ينظر، البلوي ، سيرة احمد بن طولون ، ص٣٩-٤٠، الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٩، ص٢٦٣-٢٦٤، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٢، ص٢٣١، الصفدي ، صلاح الدين خليل ابن ايبك (ت٧٦٤هـ) ، تحفة ذوي الالباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب ، تحقيق ، احسان بنت سعيد خلوصي وزهير حميدان الصمصام (وزارة الثقافة السورية ، احيار التراث العربي رقم ٨٥ لسنة ١٩٩١م) ، القسم الاول ،ص٣١٦.

((إذا قرأت كتابي ، فجئني برأس المستعين ، وقد قلدتك واسط)) [١٩] ، فكان جواب ابن طولون : ((والله لا يراني الله عزوجل اقتل خليفة له في رقبتي بيعة وأيمان مغلظة أبداً)) [٢٠] ، ولما علم الاتراك بموقفه ووفاءه للخليفة المخلوع زاد في قلوبهم هيبة واحتراماً [٢١] . ولكن ما يجدر ملاحظته هنا هو ان ابن طولون في الوقت الذي يبدي رفضه ان يكون هو من يتحمل دم الخليفة المخلوع إلا ان جوابه لم يكن ينطوي على رفض مطلق من تحمل شخص او جهة اخرى مسؤولية ذلك ، وهو الامر الذي يؤكده البلوي في روايته الثانية التي تناقض روايته السابقة وهي ان ابن طولون هو من قام بتسليم الخليفة المخلوع الى جند الخليفة الجديد وهو يعلم انهم لم يجيئوا إلا لقتله وهوما ذكره البلوي بالقول : ((حدث احمد بن محمد الواسطي قال :وكنت مع المستعين بالله على الرسم ، فرأينا غبرة خيل قد اقبلت ، فانفذ غلاماً يركض ليعرف له خبرها ،فعاد وقال : هو سعيد الحاجب ،فاصفر لونه ووجم فقال لي :يا ابا عبد الله انا استودعك الله ، هذا جزار بني هاشم قد جاءني ...)) [٢٢]، اما موقف ابن طولون في التعبيرعن وفاءه للمستعين فهو قيامه بتسلميه لمعبوث الخلافة سالماً ليقتلوه: ((واحضر قاضي واسط والشهود فاشهدهم على تسليمه اياه سالماً ...)) [٢٣] .واذا استطعنا ان نعلل ذلك بعدم قدرة ابن طولون على الوقوف بوجه جند الخلافة فانه لابد من التساؤل: هل ان ابن طولون اخبر المستعين بما يدبر له واذا كان الامر كذلك فلماذا لم يذكره البلوي او غيره ممن يتفق معه في روايته الاولى، ثم لماذا لم يقم ابن طولون على اقل تقدير بمساعدة المستعين على الهرب بدلاً من قيامه بتسليمه لمصيره المحتوم ،كما انه ومن ناحية ثانية نلاحظ ان بعض المؤرخين ومنهم الطبري ذكروا ان ابن طولون ساهم في القاء القبض على المستعين لقتله [٢٤]، الامر الذي يدفعنا للاعتقاد ان رواية البلوي الاولى غير دقيقة ، بل ويمكننا ان نستنتج من الروايات المختلفة ان ابن طولون إن لم يكن قد اتفق مع الاتراك على تسليم المستعين او ساهم في ذلك كما ذكر الطبري فانه تقاعس عن الدفاع عنه وتركه يواجه مصيره المحتوم . ولذلك نلاحظ انه –اي ابن طولون– حظي برعاية الاتراك والخليفة فيما بعد وقلدوه ولاية من اهم ولايات الدولة العباسية وهي ولاية مصر كما سيمر.

وبعد عودة ابن طولون الى سامراء كان نفوذ القادة الاتراك قد تعاظم فيها وابرزهم باكباك زوج والدة احمد بن طولون والمتولي امر مصر [٢٥] والذي تولى مع غيره تنصيب المعتز خليفة جديدا، وقد كان باكباك قد اناب عنه احمد بن طولون في ادارة مصر سنة (٢٥٤هـ / ٨٦٨م) [٢٦]، وبعد ان امر الخليفة المهتدي بقتل

(١٩) سيرة احمد بن طولون ،ص٤٠، وينظر، الصفدي ، ق١، ص٣١٦.

(٢٠) البلوي ، سيرة احمد بن طولون ،ص٤٠، وينظر، الصفدي ، ق١، ص٣١٦.

(٢١) ينظر، البلوي ، سيرة احمد ابن طولون ، ص٤٠، الصفدي ، ق١، ص٣١٦.

(٢٢) سيرة احمد ابن طولون ، ص.٤١.
(٢٣) البلوي ، سيرة احمد ابن طولون ، ص.٤١.
(٢٤) ينظر، الطبري ، تاريخ الرسل ،ج٩،ص٣٦٢-٣٦٣، ابن الأثير، الكامل ،ج٦،ص١٨٥-١٨٦،
(٢٥) ينظر، ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٢، ص٢٣١، ابن الأثير ، الكامل ، ج٦،ص ١٩٤ وما بعدها.
(٢٦) الكندي ، الولاة والقضاة ،ص ٢١٢، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٢، ص٢٣١، ابن الأثير ، الكامل ، ج٦،ص١٩٥.

باكباك ولى ياركوج او يارجوخ التركي بدلاً عنه وكان بين الأخير واحمد ابن طولون علاقة وثيقة ومودة مؤكدة فقد كان ابن طولون صهراً ليارجوخ فاستعمله على الديار المصرية كلها فقوي امره وعلا شأنه [٢٧].

المبحث الثالث

((مناطق الثغور والعواصم))

الثغور: هي مناطق التخوم التي تفصل بين الدولة الاسلامية والامبراطورية البيزنطينية اوالبيزنطية والتي تكون بمثابة الثغرات التي يمكن للعدو ان يستغلها خاصة اذا لم تكن محصنة ومحمية جيدا، لذلك فقد تميزت مناطق التخوم او المناطق الثغرية باستحكاماتها العسكرية واحتوائها على عدد كبير من القلاع والحصون التي كانت دائما مثار صراع بين الدولتين لأهميتها الاستراتيجية بوصفها نقاط دفاع وهجوم في آن واحد [٢٨]. لذلك احتلت اهمية بالغة لدى المسلمين وكان الاهتمام بتحصيناتها ومتابعتها من المسؤوليات الهامة والخطيرة التي يجب ان تكون في مقدمة مهام الحاكم، فقد اشار الماوردي الى ان من واجبات الامام – اي الخليفة–: "تحصين الثغور بالعدة المانعة و القوة الدافعة، حتى لا تظهر الاعداء بقوة ينتهكون فيها محرما، ويسفكون فيها لمسلم او معاهد دما" [٢٩]. وقد كانت ثغور الدولة الاسلامية المتاخمة للامبراطورية البيزنطية تتألف من سلسلتي جبال طوروس وطوروس الداخلية ، وكانت تمثل خطا طويلا من القلاع يميل من ملطية [٣٠] على الفرات الاعلى الى طوروس بالقرب من ساحل البحر المتوسط "بحر الروم عند العرب" [٣١]، وقد قسم البلدانيون خط القلاع هذا الى مجموعتين رئيستين هما: ثغور شامية واخرى جزرية. إلا ان الملاحظ عدم الاتفاق بشكل تام حول مدن وحصون هاتين المجموعتين ويبدو ان ذلك ناشيء من التداخل الجغرافي بين مدن وحصون هاتين المجموعتين، لذا نلاحظ ان البلدانيين يقررون ان كلاً من الثغور الشامية والثغورالجزرية تعد من الناحية الجغرافية ثغورا شامية الامر الذي بينه الاصطخري بالقول:" قد جمعت الثغورالى الشام وبعض الثغور تعرف بثغور الشام وبعضها تعرف بثغور الجزيرة وكلاهما من الشام"[٣٢]، وذلك ان كل ما وراء الفرات

(٢٧) ينظر، البلوي ، سيرة احمد بن طولون ، ص٤٥-٤٦، ابن الأثير ، الكامل ، ج٦،ص١٩٥، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ،ج ٣،ص٩.

(٢٨) لسترانج،كي،بلدان الخلافة الشرقية،ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد (مؤسسة الرسالة د٠ت)،ص١٦٠- ١٦٣؛ نوري، موفق سالم، العلاقات العباسية البيزنطية،١٣٢- ٢٤٧هـ/ ٧٥٠-٨٦١م (بغداد، ١٩٩٠م، ط١)،ص٦٨- ٦٩.

(٢٩) الاحكام السلطانية ،ص٤٠.

(٣٠) ملطية : وهي من اكبر مدن الثغور الفاصلة بين العرب والروم وتقع دون جبل اللكام ،ويقابلها من ثغور الدولة البيزنطية ثغري خرشنة والخالدية؛ ينظر:قدامة ،ابي الفرج بن جعفر الكاتب البغدادي (٣٣٧هـ)، نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ملحق بكتاب المسالك والممالك، لابن خرداذبة، ابي القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٢٨٠هـ)، (ليدن، ١٨٨٩م)، ٢٥٤؛ الاصطخري ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي(ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) ، مسالك الممالك (ليدن بريل ،د.ت)، ص٦٢؛ ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان (دار صادر، بيروت ١٩٧٧م) ،ج٥،ص١٩٢-١٩٣،وذكرلسترانج انها كانت تسمى عند الروم، ملتين (Melitene)، ينظر: بلدان الخلافة الشرقية، ص١٥٢؛وينظرلمزيد الاطلاع : الصالحي ،عبد الحسين ، الثغور (بحث منشور في دائرة المعرف الاسلامية الشيعية)،د.حسن الامين (بيروت ٢٠٠٢م،ط٦)، ج١٠، ص١١٣-١١٤،١٥٢.

(٣١) / لسترانج، بلدان الخلا فة الشرقية، ص١٦٠.

(٣٢) مسالك الممالك، ص٥٥؛وينظر ايضا:ابن حوقل، ابو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م)، كتاب صورة الارض (ليدن ١٩٣٨م)، ج١،ص١٦٨؛وللتفاصيل ينظر: ي، هونجمان،الثغور،بحث منشورفي(دائرة المعارف الاسلامية،ترجمة احمد الشناوي واخرون،بيروت د.ت)،ج٦،ص٢٠٣-٢٠٤.

من الشام انما سمي من ملطية الى مرعش ثغور الجزيرة لأن اهل الجزيرة بها يرابطون ومنها يغزون [٣٣]. وهاتين المجموعتين من الثغور: احدهما تحمي اقليم الجزيرة وتسمى الثغور الجزرية وهي الشمالية الشرقية،والثانية تحمي الشام وتسمى الثغورالشامية وهي الجنوبية الغربية [٣٤] . اما الثغورالبحرية فقد قال عنها قدامة :" والثغور البحرية على الاطلاق سواحل الشام ومصر كلها والمجتمع فيه الامران غزو البر والبحر" [٣٥].

واما العواصم : فقد ذكر البلاذري ان الخليفة العباسي هارون الرشيد افرد مدينة منبج [٣٦]، ومدينة رعبان[٣٧]، وكورة قورس [٣٨]، ومدينة انطاكية، وكورة تيزين [٣٩]، واطلق عليها اسم العواصم:"لان المسلمين يعتصمون بها فتعصمهم وتمنعهم اذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا من الثغر، وجعل مدينة العواصم منبج" [٤٠] ، وقد فرق قدامة بين الثغور والعواصم فقال:"ان هذه الثغور منها برية تلقاها بلاد العدو و تقاربه من جهة البر ،ومنها بحرية تلقاه وتواجهه من جهة البحر، ومنها ما يجتمع فيه الامران، وتقع المغازي من اهله في البر والبحر، وعواصم هذه الثغور وما ورائها الينا من بلدان الاسلام، وانما سمي كل واحد منها عاصما لانه يعصم الثغر ويمده في اوقات النفير" [٤١]. يتبين من ذلك ان العواصم هي: سلسلة الحصون الداخلية الجنوبية بطرقها الحربية، ولذلك تتميز عن الحصون الشمالية الخارجية الملاصقة للحدود البيزنطية [٤٢]. يتضح من ذلك ان العواصم انشأت لتكون الخط الثاني للثغور التي يعتصم بها المسلمون من العدو اذا خرجوا من الثغر .

المبحث الرابع

((سياسة احمد بن طولون للسيطرة على منطقة العواصم والثغور))

تميزت المدة (٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٧٠-٨٩٢م) بانشغال الخليفة المعتمد بضبط الجبهة الداخلية والتصدي للاضطرابات والثورات التي كان اخطرها ثورة الزنج التي هددت كيان الدولة العباسية وعاصمة خلافتها

(٣٣) الاصطخري، مسالك الممالك، ص٥٥؛ ابن حوقل، صورة الارض ج١،ص ١٦٨ .
(٣٤) لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ص١٦٠؛ عثمان، فتحي، الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري (القاهرة، ١٩٦٦م)، ج١،ص١٣٢.
(٣٥) الخراج وصنعة الكتابة، ص٢٥٣.
(٣٦) منبج :مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة بينها و بين الفرات ثلاثة فراسخ وبينها وبين حلب عشرة فراسخ،ينظر:ياقوت الحموي، معجم البلدان ج٥،ص٢٠٦،ابن شداد،عزالدين محمد بن علي بن ابراهيم (ت٦٨٤هـ)،الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة،تحقيق،يحيى زكريا عبارة(دمشق، ١٩٩١م)، ج١،ص٤٤٤.
(٣٧) رعبان : مدينة بالثغور بين حلب و سميساط قرب الفرات وهي قلعة تحت جبل.ياقوت، معجم البلدان ج٣ ،ص٥١.
(٣٨) قورس : كورة من نواحي حلب، ياقوت، معجم البلدان ج٤،ص٤١٢، وينظر: ابن شداد،الاعلاق الخطيرة ج١،ص٤٣٨.
(٣٩) تيزين : كورة وبلدة بالعواصم من نواحي حلب،ينظر: ياقوت، معجم البلدان ج٢،ص٥٨.
(٤٠) احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ)، فتوح البلدان، باشراف لجنة تحقيق التراث (بيروت، ١٩٨٣م، ط١)، ص١٣٤؛ ابن شداد،الاعلاق الخطيرة ج١،ص٣٥٣.
(٤١) الخراج وصنعه الكتابة ، ص٢٥٣.
(٤٢) دياب ، صابر محمد، المسلمون وجهادهم ضد الروم في ارمينية والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجري (مكتبة السلام العالمية ١٩٨٤م)، ص٢١.

واستنزفت مواردها البشرية والمادية [٤٣] . الامر الذي شجع ولاة الاطراف على التمرد ومحاولات الاستقلال عن العاصمة العباسية وهذا بدوره ساعد ابن طولون في البروز على مسرح الاحداث السياسية في منطقة بلاد الشام ففي سنة (٢٥٦هـ / ٨٧٠م)، تحرك والي فلسطين والأردن عيسى بن الشيخ بن السليل الشيباني واستولى على مدينة دمشق واعلن تمرده على الخليفة المهتدي وامتنع عن ارسال ما بذمته من الاموال ولم يكتف بذلك بل استولى على الاموال القادمة من مصر الى العاصمة العباسية [٤٤]، ويبدو ان تراخي قبضة العاصمة على اطرافها ثم موت الخليفة المهتدي وتنصيب المعتمد خليفة من قبل الاتراك وما رافق ذلك من اضطراب اوضاع البلاد شجع عيسى بن الشيخ هذا ان يذهب خطوة اخرى نحو الاستقلال فقد رفض اولاً بيعة الخليفة الجديد ثم اخذ يتهيأ للتوجه نحو مصر للاستيلاء عليها [٤٥]، فكتب الخليفة المعتمد الى ابن طولون بالتوجه نحو الشام والتصدي لابن الشيخ والوقوف بوجه اطماعه كما وجه بتوفير كل ما يحتاجه من العدة والرجال والمال وكان ذلك بالنسبة لابن طولون الفرصة التي لا تعوض لتحقيق طموحه في الوصول الى بلاد الشام والسيطرة عليها سيما انه كان يتوقع من يارجوخ ان يقلده اياها إلا ان الاخير خيب ظنه [٤٦]، ولكن الأمور لم تجري كما اراد لها ابن طولون فقد ارسل الخليفة من قبله احد قادة الترك يدعى اماجور للغرض نفسه بعد ان اقطعه دمشق واعمالها، ولعل خشية الخليفة من تعاظم نفوذ ابن طولون هو الذي دعاه لاستبعاده عن الدخول الى الساحة الشامية. واشتبك اماجور مع ابن الشيخ على باب دمشق [٤٧] ، ،اما ابن طولون فبقي يراقب تلك الساحة عن كثب ينتظر لعل شيئاً يحدث يغير مسار الاحداث، ولكن شيئاً من ذلك لم يحصل بعد ان نجح اماجور في هزم ابن الشيخ ودخول مدينة دمشق وتولي ولاية الشام ، فما كان من ابن طولون إلا ان عاد ادراجه الى مصر [٤٨] .ولكن بدا واضحاً ان قرارالقضاء على قوة ابن الشيخ جاء في صالح ابن طولون ولكن من جهة ثانية فبالرغم من انه لم يحصل على موطأ قدم في بلاد الشام إلا ان ما حدث ساهم في تقوية شوكته فعاد الى مصر وقد استكثر من المال والرجال واحكم قبضته عليها اكثر من ذي قبل. إلا ان بلاد الشام بقيت الهاجس الذي يعيشه والطموح الذي يسعى لتحقيقه ومن هنا كانت المرحلة التالية من سياسته قد تركزت على الوصول لذلك الهدف .

(٤٣) الطبري ، تاريخ الرسل ،ج٥،ص٢٠٣٦،المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر(ط١، بيروت ٢٠٠٥م)،ج٤،ص٢١٢؛ابن الأثير،الكامل ٢٠٦/٦؛ ابن خلدون ،عبد الرحمن بن محمد المغربي (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر ، تحقيق ، الاستاذ خليل شحادة ،مراجعة د. سهيل زكار(بيروت ٢٠٠٠م)، ج٣،ص٣٧٦، وللتفاصيل عن ثورة الزنج ، ينظر: علبي، احمد، ثورة الزنج (ط،د،ت.بيروت ١٩٦١م)، ص٩وما بعدها.

(٤٤) ينظر، الكندي ، الولاة والقضاة ، ص٢١٤، ابن الأثير ، الكامل ، ج٦،ص٢٢٦.

(٤٥) ينظر، البلوي ، سيرة احمد بن طولون ،ص٨٥-٨٨.

(٤٦) ينظر، البلوي ،سيرة احمد بن طولون ، ص٤٧.

(٤٧) ينظر، الطبري ، تاريخ الرسل ،ج٩،ص٤٧٤-٤٧٥،ابن الاثير، ج٦،ص٢٢٦، البلوي ، سيرة احمد بن طولون ،ص٥١-٥٢.

(٤٨) ينظر،البلوي ، سيرة احمد بن طولون ، ص٥٢.

كان لانشغال الخلافة بقتال الزنج وضبط امور البلاد الداخلية وقع كبير على القرارات التي تصدر من العاصمة العباسية ، ولما كانت مسألة التصدي للمخاطر القادمة من وراء الثغور –الحدود– الغربية للعاصمة العباسية من بين الهموم التي شغلت العباسيين فكان لا بد لهم من ايجاد الحلول الناجعة والسريعة لها. ومما لا شك فيه ان وجود اماجور في بلاد الشام اصبح يشكل الجدار الذي اصطدمت به طموحات ابن طولون والخطر الذي يتهدد مصر من حدودها الشمالية ومما لاشك فيه ايضاً ان اماجور كان يدرك ذلك جيداً ويستشعر من جانبه الخطر الذي يتهدده من جهة ابن طولون ويعيق تحقيق هدفه في ضم مصر لولاية الشام فبدا الاثنان كفرسي رهان يتسابقان للوصول الى الغاية نفسها ، ومن هنا اراد اماجور ان يطيح بابن طولون فسعى لدى الخليفة ليزعزع ثقته به فارسل اليه كتاباً جاء فيه : ((أما بعد ، فإنه قد اجتمع لاحمد بن طولون اكثر مما كان يجتمع لأحمد بن عيسى بن شيخ ، والخوف منه اكثر ...)) ([٤٩]) ، وكاد ذلك ان يوقع يحقق غايته إذ ارسل الخليفة في استقدام ابن طولون إلا ان الأخير كان على علم بما دبر له في العاصمة وادرك ان الاقدام على مثل تلك الخطوة قد يتسبب في نهايته ، وتمكن بذكائه وادراكه العميق لحراجة الظروف التي تمر بها العاصمة سيما الضائقة المالية الكبيرة ان ينجح في توظيف ذلك لمصلحته ، فبعد ان وصله كتاب الخليفة بادر الى ارسال وفد منه الى العاصمة العباسية محملاً بالاموال الطائلة والهدايا التي يصعب على الخليفة تجاوزها في ظل الحاجة الماسة اليها ، كما ارسل ما لا يرد من الهدايا والاموال لاعوانه وعيونه وانصاره من وزراء الخليفة واعوانه واعمدة البلاط العباسي وابرزهم يارجوخ الذي نصب الخليفة المعتمد ([٥٠])، الامرالذي قلب المعادلة رأساً على عقب وغير قواعدها بما لم يكن يتوقعه اماجور او يحسب له حساب حيث تغير والذي جاء في الكتاب الذي ارسله وزير المعتمد الى ابن طولون بتثبيته في ولايته وعدم التأثر بقول السعاة [٥١]. ثم تمكن ابن طولون بحسن سياسته واغداقه الاموال والهدايا على الخليفة وبلاطه ان يستحصل امراً من الخليفة سنة (٢٦٣هـ/٨٧٦م) امراً بتولية احمد بن طولون على الثغور الشامية وخراجها[٥٢]. على اننا يجب ان نقرر ان بلاد الشام وخاصة مدن العواصم والثغور لم تكن جميعها بيد ابن طولون ، وان مناطق نفوذه كانت محدودة بحدود الثغور الشامية إلا ان ذلك لم يكن سوى المرحلة الاولى في مشروعه الكبير في تلك المنطقة . بيد انه اذا كانت هذه الحقبة قد شهدت ضعف النفوذ التركي واستقلال الخلفاء في العاصمة العباسية الى حد ما الا اننا نلاحظ من ناحية ثانية بروز نفوذ هؤلاء في اطراف الدولة وولاياتها كالطولونيين في اقليم مصر، وكان من الضروري الوقوف بوجه ذلك وتحجيمه كي لا يمتد الى العاصمة نفسها، وهو الامر الذي ادركه ابو طلحة الموفق اخا الخليفة المعتمد والمتغلب على امره [٥٣]. لكن الظروف الى كانت تمر بها الخلافة حينذاك وبخاصة حروبها مع الزنج شغلها عن القيام بذلك كما انه ومن ناحية ثانية كانت تلك الحروب قد استنزفت موارد البلاد المادية فضلاً

(٤٩) البلوي ، سيرة احمد بن طولون ، ص٥٦.
(٥٠) ينظر، الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٩،ص٤٦٢.
(٥١) ينظر ، البلوي ،سيرة احمد بن طولون ، ص٥٧.
(٥٢) ينظر، الكندي ، الولاة والقضاة ، ص٢١٧.
(٥٣) المسعودي ،مروج الذهب،ج ٤،ص٢٣٠؛ ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م)،الأنباء في تاريخ الخلفاء،تحقيق، د . قاسم السامرائي، (القاهرة سنة ١٩٩٩م ط١). ص١٣٧.

عن البشرية وجعلت سياستها التي كان قد سيطر عليها الموفق آنذاك تتركز على امر رئيس هو الحصول على الاموال من الاقاليم لسد نفقات تلك الحروب التي تسببت بافقار خزينة الدولة، ولما كانت مصر تمثل المصدر الرئيس لتمويل خزائن الخلافة وان الموفق كان إذا مر بمشكلة مالية وأعيته السبل قال : ((مصر خزانة السلطان وفيها امواله ...)) [٥٤] . وإذاعلمنا ان الخليفة المعتمد كان قد اوكل مهمة خراج مصر والشام لابن طولو [٥٥] ادركنا مكانة مصر واهميتها الاقتصادية بالنسبة للخلافة العباسية ، لذا فإنه من هنا بدأ الصراع بين ابن طولون والموفق والذي كان من جانب آخر ينازع اخيه الخليفة المعتمد سلطانه ومن هنا ايضاً نرى ان الاخير لعب الدور الرئيس في تحريض ابن طولون على اخيه الموفق، فعندما بعث الموفق احد اعوانه وهو نحرير الخادم الى ابن طولون بارسال مبلغ من المال الى العاصمة لانفاقه في حرب الزنج كان المعتمد قد ارسل في الوقت نفسه الى ابن طولون يحذره من نحرير هذا وان الموفق إنما ارسله للتجسس والتآمر عليه قائلاً: ((ان الموفق إنما أنفذ نحريراً الخادم اليك عيناً عليك ومستقصيا على اخبارك ، وأراه انه قد كاتب بعض اصحابك فاحترس منه ...)) طالباً منه ارسال المال اليه مباشرة وعدم ارساله لاخيه كي لايتقوى به عليه [٥٦] ، ثم عزم الموفق على اعادة مصر الى سلطة الخلافة المباشرة،فضغط على الخليفة المعتمد واستصدر امراً بخلع ابن طولون من إمارة مصر وتولية اماجور التركي المقرب منه والموالي له بدلاً عنه وشرع في تنفيذ ذلك بارسال حملة عسكرية الى مصربقيادة موسى بن بغا سنة(٢٦٢هـ/٨٧٥م) ،اما ابن طولون فشرع من جانبه بتحصين دفاعاته واعداد قواته ، الا ان الظروف جرت في مصلحة ابن طولون مرة اخرى فإن قلة الاموال وتمرد الجند حالت دون وصول حملة الموفق الى مصر [٥٧]. وهكذا فشلت الحملة الوحيدة لاخضاع ابن طولون وعجز الموفق عن اثبات وجوده في الذي صار صاحب الكلمة الاولى ولاخيرة في مصر . ولا ريب ان فشل جيش الخلافة في اخضاع الطولونيين كان يمثل انعطافة ومرحلة جديدة في حياة الدولة الطولونية ولا عجب ان يكون لابن طولون جيش كبير العدد والعدة فضلاً عن اقتصاد قوي حال دون هيمنة الموفق على القرار في مصر اوالتأثير عليه وفي الوقت الذي قوي مركز ابن طولون كانت الخلافة العباسية تعاني من الضعف واستنزاف مواردها المادية والبشرية في معارك جانبية لتحقيق الاستقرار الداخلي [٥٨] . ويبدو ان ابا احمد الموفق لما ادرك صعوبة اخضاع ابن طولون عزم على حصر سلطتة في المناطق التي كان قد سيطر عليها من قبل وعدم السماح له بمد نفوذه الى مناطق جديدة ففي سنة (٢٦٣ هـ/٨٧٦م) طلب احمد ابن طولون من ابي احمد الموفق ان يوليه مدينة طرسوس والتي تعد من بين اهم مدن الثغور لجعلها منطلقاً لحملاته ضد

(٥٤) البلوي ، سيرة احمد بن طولون ، ص٦١.
(٥٥) ينظر، البلوي ، سيرة احمد بن طولون ، ص.
(٥٦) ينظر ،البلوي ، سيرة احمد بن طولون ، ص٨٠.
(٥٧) ينظر ،ابن الأثير ، الكامل ،ج٦،ص ٢٦٩؛ ابن خلدون ، تاريخ،ج٣،ص٤١٢،ولمزيد التفاصيل عن الصراع بين الموفق وابن طولون ينظر:حماده، محمد ماهر،الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة(٢٤٧-٦٥٦هـ/٨٦١-١٢٥٨م)،(سلسلة وثائق الاسلام ، العدد ٣، بيروت، ١٩٨٥م ،ط٣)، ص٥٦-٦١.
(٥٨) ينظر على سبيل المثال ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٦، ص٢٤٦ وما بعدها، سيدة اسماعيل كاشف ، احمد بن طولون ، ص٨٤-٨٥.

الامبراطورية البيزنطية إلا ان الموفق رفض ذلك وقرر ان يرسل اليها والياً من قبله [٥٩]. غير ان قرار الموفق لم يكن موفقاً ما ادى الى اضطراب الامور في مدينة طرسوس ومقتل اميرها ثم ارسل الموفق واليا اخر فكان مصيره مثل الذي سبقه ثم ارسل ثالثاً فاساء السيرة وكانت نتيجة كل ذلك ان خسر المسلمون واحدة من اهم قلاعهم وهي قلعة اللؤلؤة وكل ذلك قد حدث خلال بضعة اشهر ما يدل على مدى حساسية التعامل مع المناطق الثغرية ومدى صعوبة ودقة اختيار ولاتها. في الوقت الذي لم يكن بمقدور الخلافة ضبط امورها والدفاع عنها لانشغالها بمشاكلها الداخلية، وقد بين ذلك ابن الاثير في روايته لاخبار الزنج قائلا :((وفيها نفذ قائد الزنج جيوشه الى ناحية البطيحة ودست ميسان وكان سبب ذلك ان تلك النواحي لما خلت من العساكر السلطانية بسبب عود مسرور لحرب يعقوب بث صاحب الزنج سراياه فيها تنهب وتخرب واتته الاخبار بخلو البطيحة من جند السلطان ...)) [٦٠]، فلم يكن من الخليفة المعتمد الا ان قلد ابن طولون مدينة طرسوس [٦١].ولكن يبدو ان اضطراب الاوضاع في مدن الثغوربشكل عام ومدينة طرسوس بشكل خاص حال دون تحقيق رغبة ابن طولون في بسط سلطانه على تلك البقاع فقد رفض قادة ابن طولون واقرب الناس اليه تسنم ولايتها وهو ما بينه الكندي قائلاً :((وضج اهل الثغورمن ولاتهم، فبعث احمد بن طولون الى اخيه موسى وهو مقيم بطرسوس بتقليدها فامتنع موسى من ولايتها ، وكتب احمد الى ابراهيم بن عبد الوهاب بولايتها فامتنع ...)) [٦٢] ولعل وجود اماجور ايضاً كان مانعاً من امتداد نفوذ ابن طولون في مدن الثغور . ولكن لحسن حظ ابن طولون ان تلك الحال لم تدم طويلاً حيث كان عام (٢٦٤هـ/ ٨٧٧م) عاماً حاسماً في تنفيذ برنامجه وطي صفحة منافسيه في المنطقة فقد توفي في هذا العام موسى ابن بغا ثم تبعه اماجور التركي الذي ترك بلاد الشام بثغورها وعواصمها المضطربة بيد ابنه علي [٦٣] ،ولكن يبدو ان علياً هذا ادرك انه ليس بمقدوره السيطرة على الاوضاع وسد الفراغ الساسي والعسكري الذي تركه والده وانه ليس من مصلحته الوقوف بوجه ابن طولون فآثر السلامة على الصدام المسلح، وهكذا اصبحت بلاد الشام تنتظر تحرك ابن طولون لسد الفراغ والسيطرة على مجريات الاحداث فيها .

المبحث الخامس

((العلاقة بين العباسيين والطولونيين واثرها على منطقة بلاد الشام والثغور))

(٥٩) ينظر ،ابن الأثير،الكامل ،ج٦،ص٢٧٢.
(٦٠) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦،ص٣٦٣. وللاطلاع على تدهور اوضاع العراق والاقاليم الاخرى في هذه المدة ، ينظر، ابن الاثير ، الكامل ، ج٦، ص٢٤٦وما بعدها.
(٦١) ينظر ، ابن الأثير،الكامل ،ج٦، ص٢٧٢.
(٦٢) ينظر ، الولاة والقضاة ، ص٢١٧.
(٦٣) الولاة والقضاة ، ص٢١٨-٢١٩، الطبري ،تاريخ الرسل ، ج٩، ص٥٣٣.

كانت مدن بلاد الشام وثغورها قد سيطر عليها امراء اقوياء دان بعضهم بالولاء لخصم ابن طولون القوي ابو احمد الموفق صاحب الكلمة الطولى في العاصمة العباسية في حين استقل بعضهم الآخر في المنطقة التي سيطر عليها ولم يكن على استعداد للتضحية بما تحت يديه او الخضوع لقوة اخرى مهما كانت صفتها – كما سيمر – وقد ادرك ابن طولون بحنكته السياسية ومعرفته بطبيعة الاوضاع الاجتماعية في المنطقة صعوبة اخضاعها لسلطانه حتى لو كان لديه تفويضاً من الخليفة نفسه فكان لابد له من استمالة اهالي الثغور قبل ولاتهم ولادراكه اثر العامل الديني في تحريك مشاعر المسلمين وتوظيف طاقاتهم لذا فقد دخل بلاد الشام رافعاً راية الجهاد دفاعاً عن بلاد المسلمين ضد الروم البيزنطيين، وهذا ليس معناه التشكيك بنوايا ابن طولون إنما لبيان ذكائه ونجاحه في استثمار الظروف وتوظيفها لصالح مشروعه ،فقد نجح بذلك الى حد كبير ، فالجهاد في سبيل الله اضفى على حركته صبغة دينية الامر الذي أكسبه تعاطفاً وزخما شعبيا كبيرا،فدانت له كبريات مدنها ودعي له على منابرها سنة (٢٦٤هـ/٨٧٧م)، وقد ذكر المسعودي ذلك مشيراً الى دور العامل الديني في التفاف المسلمين حوله بالقول :"كان خروج احمد بن طولون من مصر مظهرا للغزو في عساكر كثيرة وخلق من المطوعة قد انجذبوا معه من مصر وفلسطين"[٦٤]،كما اشار ابن الأثيرالى وقوف اهالي كبريات المدن الى جانبه تحت راية الجهاد، فعند بلوغة مدينة الرملة*، وابلاغه والي المدينة انه قد ولي الشام والثغور من قبل الخليفة وانه متوجه لقتال البيزنطين، سارع الوالي الى اعلان الطاعة له وتقديم ما يحتاج اليه من الميرة والعلوفة ، وحين دخل مدينة دمشق وجد من والي المدينة واهلها مثل الذي وجد في مدينة الرملة [٦٥]. وهكذا اخذت مدن بلاد الشام تعلن ولائها لابن طولون وتقدم له كل ما يحتاج اليه من المؤن والمساعدات فوقفت الى جانبه مدن حمص وحماه ومدينة حلب[٦٦] ورفض امير انطاكية سيما الطويل –الموالي للموفق العباسي – اعلان الطاعة لابن طولون والوقوف الى جانبه إلا ان موقف المسلمين فيها كان على عكس ذلك إذ وقفوا الى جانب ابن طولون ودعموه ضد اميرهم [٦٧] بل كاتبوه "ودلوه على موضع فتح منه الحصن" [٦٨]، الامر الذي يبين لنا موقف اهل انطاكية من احمد ابن طولون ودعوته للتصدي للبيزنطيين من ناحية كما لا ينبغي ان نغفل سببا آخر على جانب كبير من الاهمية ساعد ابن طولون في دخول المدينة وهو ان امير انطاكية :((كان سيء السيرة مع اهل البلد)) [٦٩]، لذا كان اهل انطاكية ساخطين عليه وقد واتتهم الفرصة للتخلص منه وهو ما بينه البلوي بالقول ((... فلبغض اهل انطاكية له رمي بالطوب والحجارة من

(٦٤) مروج الذهب ،ج٤، ص٢٣٠.

- الرملة: مدينة بفلسطين بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر يوما، ينظر: ياقوت،معجم البلدان ج٣،ص٦٩، البغدادي ، ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت٧٣٩ هـ)، مراصد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق، علي محمد البجاوي (بيروت١٩٩٢م، ط١). ،ج٢،ص٦٣٣.

(٦٥) ينظر ،الكامل ،ج٦،ص٢٧٧.

(٦٦) ينظر ، ابن الأثير ، الكامل،ج٦،ص٢٧٧.

(٦٧) ينظر، مروج الذهب ،ج٢، ص٥٨١-٥٨٢.

(٦٨) ابن العديم،كمال الدين أحمد بن ابي جرادة (٦٦٠هـ/١٢٦١م).بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق، سهيل زكار ،(بيروت ١٩٨٨م)، ج١،ص٨٢٦ ، ابن كثير ،عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) البداية والنهاية، تحقيق، ، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي (مصر، ١٩٩٨م، ط١)، ج١٤،ص٥٦٥، ابن تغري بردي ،النجوم الزاهرة،ج٣،ص٤٨.

(٦٩) ابن الاثير، الكامل ، ج٦، ص٢٧٧.

المنازل والمواضع فتحير ولحقه سهم فصرعه)) [٧٠] في حين ذكر ابن العديم ان احدى نساء انطاكية القت عليه حجرا فقتلته [٧١] . ويمكننا ان نعد ذلك نجاحاً لابن طولون في استمالة اهالي الثغور الى صفه. ولكننا نلاحظ ان الصفدي حين يترجم لابن طولون يقول : ((... امير الثغور والشام ومصر. ولاه المعتز مصر، ثم انه استولى على دمشق والشام وانطاكية والثغور في مدة شغل الموفق بحرب الزنج)) [٧٢]. فالصفدي يرى ان ابن طولون استغل انشغال الموفق بالزنج للاستيلاء على مدن الشام والثغور، وهو امر صحيح الى حد كبير اذا ما وضع في ميزان الصراع بين مركز الخلافة واطرافها إلا أن ذلك لا يتقاطع مع سياسة ابن طولون في حماية ثغور المسلمين والدفاع عنها .

ثم دخل ابن طولون مدينة طرسوس ،الا ان اهلها سرعان ما خرجوا طالبين منه الرحيل عن مدينتهم لتسببه بغلاء الاسعار وذلك بسبب كثرة قواته مخاطبينه بالقول: " قد ضيقت بلدنا واغليت اسعارنا فاما اقمت في عدد يسير واما ارتحلت عنا ".وربما كان للموفق دور في ذلك.ومهما يكن الأمر فقد قرر ابن طولون الرحيل عن المدينة وتركها كي يوحي للبيزنطيين بمناعتها وقوة اهلها وعبرعن ذلك مخاطبا جنده : " لتنهزموا من الطرسوسيين وترحلوا عن البلد ليظهر للناس وخاصة العدو ان ابن طولون على بعد صيته وكثرة عساكره لم يقدر على اهل طرسوس "[٧٣]. وواضح من خطاب ابن طولون انه اراد الحفاظ على هيبة وقوة المسلمين في نفوس اعدائهم وهو ما عبر عنه البلوي بالقول : ((... فبلغ ذلك متملك الروم ، وما كان من اهل طرسوس معه ،فعظمت هيبة الثغر في قلبه))[٧٤]. وعلى اية حال فإنه وبشكل عام يمكننا القول ان موقف ولاة وسكان مدن بلاد الشام يؤشر حقيقة على جانب كبير من الأهمية وهي ادراكهم ظرورة توحيد جهودهم وكذلك استعدادهم للالتفاف حول قيادة مركزية للدفاع عن المنطقة والتصدي للخطر البيزنطي المحدق بها في كل آن .وبلحاظ الظروف التي كانت تمر بها الخلافة العباسية فإن الفرصة اصبحت متاحة امام ابن طولون ليملىء الفراغ الذي خلفته تلك الاوضاع وان يكون رجل المرحلة المقبلة.

وهكذا بدأ ابن طولون حربه ضد البيزنطيين حيث ذكر الطبري انه ارسل سنة (٢٦٤هـ/٨٧٧م) القائد عبد الله بن رشيد بن كاوس بحملة قوامها اربعة آلاف مقاتل، تمكنت من التوغل في آسيا الصغرى فاوقعوا بالبيزنطيين وغنموا ، ولكن في طريق عودتهم احاطت بهم القوات البيزنطية الموكلة بحماية ثغري سلوقية وخرشنة واوقعت بهم هزيمة قاسية لم ينج على اثرها سوى خمسمائة مقاتل تمكنوا من الهرب وانتهت الحملة

(٧٠) سيرة احمد بن طولون ، ص٩٦.
(٧١) ينظر، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق ،د. سهيل زكار (ط١، دار الكتاب العربي دمشق – القاهرة ١٩٩٧م)، ج١،ص٨٤-٨٥، ابي الفدا ، عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ) ، المختصر في اخبار البشر ، تاريخ ابي الفداء(مكتبة المتنبي ، القاهرة . د،ت)ج٢ ، ص٥١.
(٧٢) تحفة ذوي الألباب ، ق١، ص٣١٣-٣١٤.

(٧٣) ابن الأثير ، الكامل ج٦، ص٢٧٧ .
(٧٤) سيرة احمد بن طولون ، ص٩٨.

بوقوع قائدها عبد الله بن رشيد بن كاوس أسيراً بيد الجيش البيزنطي [٧٥]. ولكن بالرغم من فشل الحملة وما آلت اليه إلا انها من دون شك جعلت البيزنطيين يدركون ظهور قوة جديدة صاعدة في المنطقة ،سيما ان هذه القوة تمتلك اسباب وعوامل بقائها لما توفر لها من امكانات اقتصادية واستقرار سياسي في مركز القيادة مصر، الامر الذي قد يقلب ميزان القوى ومستقبل الصراع في المنطقة ،ومن هنا ادرك البيزنطيون حجم الخطر الجديد المتاخم لهم ، لذا نلاحظ انهم في السنة التالية (٢٦٥هـ/٨٧٨م) اطلقوا سراح عبد الله بن رشيد بن كاوس مع عدد آخر من الاسرى وبعثوا بهم الى ابن طولون في مصر فضلاً عن عدة مصاحف هدية منهم اليه [٧٦].وقد ذكر البلوي ان الامبراطور البيزنطي ارسل الى احمد ابن طولون طالباً الهدنة – لكنه لم يذكر امدها– فوافق ابن طولون على طلبه [٧٧]، ما يعني ان البيزنطيين وفي تقديرهم للمتغيرات الجديدة اخذوا التودد للطولونيين ، وقد استثمر ابن طولون مدة الهدنة التي يبدو انها كانت قصيرة الامد في تحصين ثغور المسلمين ودفاعاتهم وكما يبدو من كتابه الى عامله على مدينة طرسوس انه انفق على ذلك من ماله الخاص كما في قوله :((تعاهد جميع الحصون التي بقربك ، فرم منها ما استرم ، واعمر منها ما خرب ،وجدد منها ما أُخلق ، وانفق على ذلك من مالي الذي في أيدي وكلائي في ضياعي التي تقرب منك ، وفرق في صعاليك أهل الثغر ممن تضر به هذه الهدنة ما يقيم اودهم ويكفيهم ، وأوسع عليهم في ذلك ،وطالعني بما يكون منك فيه فإني اراعيه ان شاء الله)) [٧٨]. كما يفهم من عبارة (وفرق في صعاليك اهل الثغر ممن تضر به الهدنة) مدى حرص ابن طولون للحفاظ على تلك الهدنة وان لا يتسبب صعاليك الثغور بدافع العوز والحاجة بخرقها من خلال غاراتهم او مغامراتهم داخل الحدود البيزنطية .

وقد شهدت سنة (٢٦٥هـ/٨٧٨م) وما تلاها اضطراب الاوضاع في مركز الخلافة العباسية فضلاً عن اطرافها وقد وصف ابن الاثير حال المسلمين آنذاك بالقول: ((وفيها كان الناس في البلاد التي تحت حكم الخليفة جميعها في شدة عظيمة بتغلب القواد وامراء الاجناد على الأمر وقلة المراقبة والأمن من انكار ما يأتونه ، ويفعلونه لاشتغال الموفق بقتال صاحب الزنج ولعجز الخليفة المعتمد واشتغاله بغير ذلك)) [٧٩] . اما بلاد الشام فلم تكن افضل حالاً من سابقتها حيث انشغل ابن طولون باخضاع مدينة انطاكية إلا انه وبعد ان تمكن من السيطرة عليها واجهته مشكلة اكبر حين بلغه عصيان ولده العباس واستيلائه على اموال الخزينة والتوجه الى مدينة برقة مشاققاً له [٨٠] . الامر الذي اتاح الفرصة امام البيزنطيين للهجوم على المناطق الرخوة من الثغور ففي جمادى الاولى من السنة نفسها خرج خمسة من بطارقة الروم الى مدينة

(٧٥) تاريخ الرسل ،ج٩،ص٥٣٣؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) ،تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، د.عبد السلام التدمري (ط١، دار الكتاب، بيروت ١٩٩٢م) ،ج٢٠،ص١٣ .

(٧٦) ينظر، الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٩، ص٥٤٥، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ،ج٣، ص٤٩.

(٧٧) ينظر، سيرة احمد ابن طولون ، ص١٠٩.

(٧٨) المصدر نفسه ، ص١١٠،ولمزيد الاطلاع على مدى اهتمام ابن طولون بالثغور واهلها ومقدار انفاقه عليها ينظر ، ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين عبد الحي بن احمد الدمشقي (١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، تحقيق ، محمود الارناؤوط (ط١، دار ابن كثير، بيروت ١٩٨٨م)، ج٣، ص٢٩٦.

(٧٩) الكامل ، ج٦ ص٢٩١، وينظر، الطبري ، تاريخ الرسل ،ج٩،ص٥٤٢-٥٤٥،

(٨٠) ينظر ، المصدر نفسه والجزء ،ص٥٤٥، الذهبي ، تاريخ الاسلام ،ج٣٠، ص١٦.

اذنة فقتلوا واسروا [٨١] .ونلاحظ ان المدن التي استهدفها الروم تعد من الثغور الجزرية التابعة لسلطة العاصمة العباسية والتي كانت تعاني من صراع النفوذ بين الخلافة والقادة الاتراك [٨٢]. ما سهل للبيزنطيين استهدافها. الامر الذي يبين سياسة البيزنطيين في استغلال الظروف والنجاح في التعامل مع مراكز القوى الاسلامية ، ففي الوقت الذي يسعون لكسب ود الطولونيين في مصر وهي احد اقاليم الدولة العباسية والتابعة لها اسمياً ويطلقون قائد من قادة الثغور التابعة لها ويبعثون بمصاحف وهدايا ثم عقد هدنة بين الطرفين– كما مر– نراهم في نفس الوقت يتعاملون بطريقة مغايرة وعدائية مع الخلافة العباسية فيهاجمون المناطق الثغرية الخاضعة لسلطانها فيقتلون ويأسرون ويسلبون ، فبعد اقل من سنة على الهجوم الاول عاود البيزنطيون الكرة في صفر من سنة (٢٦٦هـ/ ٨٧٩م) هاجمت سرية من الجيش البيزنطي منطقة تل يسهى من بلاد ربيعة وقتلت واسرت فنفر اليهم اهل الموصل ونصيبين وردوهم ثم هاجموا المنطقة نفسها مرة اخرى في السنة نفسها [٨٣].

كانت قد شهدت المنطقة حالة من الفوضى والانقسام بسبب الصراع الطويل والمرير بين الخلافة والثائرين والمتمردين عليها كالخوارج مثلاً من جهة وبينها وبين امرائها الاتراك من جهة ثانية ، كذلك صراع البقاء وتوسيع النفوذ بين الاتراك انفسهم من جهة ثالثة الامر الذي اضعف موقفها كثيرا امام البيزنطيين . اما ابن طولون فانه لم يكن خارج دائرة الصراع تلك او بعيدا عن تأثيراتها فقد تحتم عليه ان يحافظ على مكتسباته التي حققها في المنطقة والتصدي لمحاولات ابعاده عنها او سلبها منه سيما من قبل ابي احمد الموفق اومحاولات التمدد على حساب مناطق نفوذه ،ففي سنة (٢٦٦هـ/ ٨٧٩م) اشتبك لؤلؤ غلام احمد ابن طولون مع موسى بن أتامش احد امراء الاتراك التابع للعاصمة العباسية، فكسره لؤلؤ وأسره وبعث به إلى مولاه أحمد بن طولون[٨٤] . كما كان على ابن طولون التصدي للدولة البيزنطية التي نقضت الهدنة معه بتعرض قواتها لقائد جيوشه لؤلؤ سنة (٢٦٦هـ/ ٨٧٩م)[٨٥]، فرد ابن طولون في الوقت نفسه بحملة قوامها ثلاثمائة رجل توجهت من مدينة طرسوس نحو بلاد العدو واشتبكت معهم في مدينة هرقلة البيزنطية ونجحت في ان توقع الهزيمة بالقوات البيزنطية البالغة اربعة آلاف مقاتل [٨٦] . ولاشك ان البيزنطيين كانوا يراقبون ما يجري في الدولة الطولونية لاستغلال أي خلل او ضعف قد يطرأ في صفوف الطولونيين ينعكس على ادائهم على الشريط الحدودي بين الدولتين ففي سنة (٢٦٨هـ/ ٨٨١م) وعندما اظهر لؤلؤ الطولوني وهو قائد جيش الطولونيين تمرده على احمد ابن طولون وما رافق ذلك من ارباك في المؤسسة السياسية والعسكرية للطولونيين سارع البيزنطيون لاستغلال تلك الفرصة التي احدثت فجاء الامبراطور البيزنطي بنفسه على رأس حملة كبيرة لغزو

(٨١) ينظر ، الطبري ، المصدر نفسه والجزء، ص٥٤٤ ،
(٨٢) ينظر ، الطبري ، المصدر نفسه والجزء ، ص٥١٤،ص٥٥١، ص٥٥٣.
(٨٣) ينظر ، الطبري ، المصدر نفسه والجزء، ص٥٥٣، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٢، ص٢٠٧، ابن الاثير ، الكامل ،ج٦، ص٢٩٠، ابن كثير، البداية والنهاية ج١٤ص٥٧٠.

(٨٤) ينظر ، ابن الاثير ،الكامل ، ج٦ ص٢٩١ ، ابن كثير، البداية والنهاية ج١٤ص٥٧٠-٥٧١
(٨٥) ينظر ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤، ص٥٧١.
(٨٦) ينظر ،الطبري ، تاريخ ، ج٩، ص٥٩٣، ابن الاثير ، الكامل ، ج٦، ص٢٩٠.

مدينة ملطية إلا انه فوجيء بموقف اهالي المدن الثغرية القريبة فقد هرع اهالي مدينتي الحدث ومرعش لمساندة اهل مدينة ملطية وحاميتها ونجحوا في التصدي للبيزنطيين والحاق الهزيمة بالامبراطور (٨٧) ، ولم تتوقف جهود الطولونيين في حماية الثغور والدفاع عنها وتوجيه الحملات ضد البيزنطيين ففي سنة (٢٦٨هـ/٨٨١م) ارسل الطولونيون حملة كبيرة رداً على حملة امبراطور بيزنطية وتمكنت من التوغل داخل الاراضي البيزنطية وايقاع خسائر كبيرة في صفوف الجيش البيزنطي بلغت اكثر من عشرة مقاتل (٨٨) .

كما اهتم ابن طولون اهتمام بارزاً بالقوة البحرية وصناعة السفن وادرك ضرورة وجود اسطول قوي لحماية شواطيء دولته ،والمحافظة على طريق الاتصال البحري بين مصر وبلاد الشام لذلك انشأ قاعدة بحرية كبيرة في مدينة عكا بعد ان جدد حصونها واسوارها وتقوية دفاعاتها (٨٩).كما بنى دارا كبيرة لصناعة السفن الحربية والتجارية ،ولعل وصيته للمسؤول عن دار صناعة السفن تبين مدى اهتمامه بالقوة البحرية حيث قال : ((... وليس يعمل في البحر إلا الوثاقة ،والجودة في الصنعة ،وتقديم الإحسان ،فقدم الحزم في الإحتياط ،والاستزادة في الإنفاق على المراكب لتسلم بعون الله عز وجل وتوفيقه من معرة البحر))(٩٠) ، وقد امتلك الطولونيون اسطولا كبيرا قوامه مائة قطعة من السفن الحربية الكبيرة ، واسطولا آخر بمائة سفينة من السفن الحربية الصغيرة عدا انواعا اخرى من القطع البحرية الحربية والتجارية (٩١). وقد وصف البلوي قوة الاسطول الحربي الطولوني بالقول : ((... وكل صنف من السفن مما لا يحصى كثرة ،رجالاً وسلاحاً وعلوفة وزاداً، حتى كأن البحر كله قد فرش سفناً ، وكانت تسير في البحر مسير الجيش في البر)) (٩٢).

لاشك ان تدهور الاوضاع في العاصمة سامراء وتمكن ابن طولون من مصر والشام جعله يفكر في مد سلطانه على مكة والحجاز الرمز الديني والروحي للمسلمين لكنه فشل في تحقيق ما كان يصبوا اليه، فقد ذكر الطبري في حوادث سنة (٢٦٧هـ/ ٨٨٠م) ان عامل ابن طولون اتى مكة مع طائفة من الفرسان في اثناء موسم الحج ثم ركز رمحه وادعى ولاية ابن طولون على بيت الله إلا ان والي مكة سارع الى احتواء الموقف دون حدوث مصادمات (٩٣)، ودخلت سنة(٢٦٩هـ/٨٨٢م) لتشهد تجدد النزاع والمؤامرات بين الموفق وابن طولون فقد ذكر الطبري ان لؤلؤ الطولوني ارسل الى الموفق طالباً الالتحاق به والانظمام الى صفوفه مقابل شروط إلا ان الطبري لم يذكر ماهية تلك الشروط مكتفياً بالقول: ((ثم كاتب لؤلؤ ابا احمد الموفق في المصير اليه ومفارقة ابن طولون ، ويشترط لنفسه شروطاً فاجابه ابو احمد الى ما سأله...))(٩٤). الامر

(٨٧) ينظر ، الطبري ، تاريخ ، ج٩، ص٦١١-٦١٢، ابن الاثير ، الكامل ، ج٦، ص٣١٤.
(٨٨) ينظر ،، الطبري ، تاريخ ، ج٩، ص٦١٢، ابن الاثير ، الكامل ، ج٦، ص٣١٤، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب،ج٣، ص٢٩٠.
(٨٩) ينظر، المقدسي ، محمد بن احمد البشاري (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م) ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ط٣ القاهرة ١٩٩١م)، ص١٦٣، وينظر ، بيطار، د.امينة ، تاريخ العصر العباسي (ط٤، منشورات جامعة دمشق ١٩٩٧م) ص٣١٤، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤،ص١٤٣.
(٩٠) البلوي ، سيرة احمد بن طولون ، ص٢٠٨.
(٩١) ينظر، البلوي ، سيرة احمد ابن طولون ، ص٨٦-٨٧.
(٩٢) البلوي ، سيرة احمد ابن طولون ، ص١٠٢-١٠٣.
(٩٣) ينظر، تاريخ ، ج٩، ص٥٩٩-٦٠٠، ابن الاثير ، الكامل ، ج٦، ص٣٢٩.
(٩٤) تاريخ ،ج٩، ص٦١٤، وينظر كذلك ، البلوي ، سيرة احمد ابن طولون ،ص٢٧٦،ابن الاثير ، الكامل ن ج٦،ص٣٢٧، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج٣، ص٥٥.

الذي زاد من حدة العداء بين الموفق وابن طولون الذي اراد ان يتدارك امر لؤلؤ فخرج بحملة كبيرة متوجهاً صوب الشام لكنه وحين دخوله المنطقة بلغه خروج مدينة طرسوس عليه بقيادة اميرها فتوجه ابن طولون الى مدينة دمشق ربما لتأمين السيطرة عليه ثم التوجه لاخضاع مدينة طرسوس وفي دمشق وصله كتاب من الخليفة المعتمد يخبره فيه بالألتجاء اليه والاحتماء به من سطوة اخيه الموفق [٩٥] وهنا ادرك ابن طولون الاهمية البالغة لخطوة الخليفة تلك ووجد فيها فرصة قد لايجود الزمان بمثلها من اجل سحب الشرعية من خصمة الموفق وتوجيهه ضربة معنوية اليه قد تطيح بوجوده السياسي والعسكري فسارع الى الترحيب بالخليفة معبراً عن شدة قلقه عليه وخوفه عليه مما قد يلحق به قائلاً : ((قد منعني الطعام والشراب والنوم خوفي على أمير المؤمنين ...)) ، معلناً وجوب نصرته والاسراع في نقله الى مصر [٩٦]. وارصد له جيشاً في مدينة الرقة يتلقونه ويقومون بمهمة ايصاله الى مصر وسرعان ما انطلق المعتمد متوجهاً الى مدينة الرقة إلا انه ما لبث ان وقع بيد عامل الموصل الذي اعتقله :((ثم ألزمه العود إلى سامرا ومن معه من الامراء فرجعوا إليها في غاية الذل والاهانة)) [٩٧] . ولما بلغ الموفق ما فعل عامل الموصل شكره واكرمه وولاه جميع أعمال أحمد بن طولون إلى أقصى بلاد إفريقية، ثم طلب إلى أخيه أن يلعن ابن طولون في دار العامة، فلم يمكن المعتمد إلا إجابته إلى ذلك، وهو كاره، وكان ابن طولون قد قطع ذكر الموفق في الخطب وأسقط اسمه عن الطرازات،وذكر الكندي ان ابن طولون قام بجمع القضاة والفقهاء والاشراف في دمشق وكتب الى المناطق الخاضعة لسلطته والى مركز حكمه مصر بما جرى على الخليفة المعتمد من اخيه ابا احمد الموفق وان ((ابا احمد نكث بيعة المعتمد واسره ... وان المعتمد قد صار من ذلك الى ما لا يجوز ذكره وان المعتمد يبكي بكاء شديدا ...)) [٩٨] ، ثم امر باجتماع وجهاء وفقهاء واشراف مصر والشام والثغور ((فلما اجتمعوا امر احمد بن طولون بكتاب خلع فيه ابا احمد الموفق من ولاية العهد لمخالفته المعتمد وحصره اياه وكتب فيه : ان ابا احمد خلع الطاعة وبرىء من الذمة ، فوجب جهاده على الامة ...)) [٩٩] . ولاهمية صيغة اللعن الذي صدر من عاصمة الخلافة ضد ابن طولون وآثاره السيئة على الموقف من البيزنطيين وبيانه استغلال الموفق قضية الجهاد للتحريض ضد ابن طولون ومنها قوله :((ان الله عزوجل قرن بطاعته طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعة اولي الأمر ، انتخبهم لاعزاز دينه ، واقامة معالمه فقال جل من قائل ، يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ، فإن عدو الله المباين لجماعة المسلمين ، المعروف بإحمد بن طولون ، اظهر ما كان منه من معصية وشقاق ، فيما بين اقاصي المغرب الى اكناف العراق ومرق من الدين وخان امير المؤمنين ، واخرب ثغور المسلمين ، وقاتل فيها المجاهدين باهل الفسق الملحدين ، واستباح حريمهم وسفك دماءهم ، فلما تبين امير المؤمنين امره ، وعرف كفره تبرء ، منه الى الله عزوجل ولعنه لعناً ظاهراً ،

(٩٥) ينظر ، الكندي ، الولاة والقضاة ،ص٢٢٤-٢٢٦،ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ،ج ٣، ص٢٩٢.
(٩٦) البلوي ، سيرة احمد ،ص٢٨١، ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج١٤،ص٥٨٢.
(٩٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج١٤،ص٥٨٢، وينظر، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٣، ص٢٩٢-٢٩٣.
(٩٨) الولاة القضاة ، ص٢٢٦، وينظر، ابن عساكر ،ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧٩هـ) ، ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق، علي شيري (ط١، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٧م) ،ج٥٤، ص١٩١.
(٩٩) المصدر نفسه ، ص٢٢٦، وينظر، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ،ج٥٤، ص١٩١.

وامر بلعنه ليلحقه ذلك من خواص الاولياء وعوام الرعية ، اللهم فالعنه لعنا يفل حده ، ويقل جنده ، ويتعس جده ، واجعله مثلا للغابرين ، انك لا تصلح عمل المفسدين يارب العالمين))[١٠٠] . ولا ندري من هم المجاهدين الذين قصدهم الموفق ! فهل هم من قاوموا ابن طولون ولم يقبلوا به مثل امير انطاكية وامير طرسوس وهل الفساق هم جيش ابن طولون ام من اعانه من امراء واهل الثغور .إلا اننا نلاحظ امرا في غاية الاهمية في خطاب اللعن وهو ان الموفق اهمل موقف ابن طولون من الخليفة المعتمد ولم يسلط الضوء عليه في حين نراه يركز على مسألة سياسة ابن طولون وموقفه من مدن الثغور وقضية الجهاد ويجعلهما الحجر الاساس في موقفه منه وانها السبب الرئيس في لعنه الامر الذي يبين لنا اهمية قضية الثغور والدفاع عنها والاهتمام بها والجهاد في سبيلها وهو الشعار نفسه الذي اتخذه ابن طولون لدخول بلاد الشام – كما مر – في حين نرى ان ابن طولون اتخذ من قضية الخلاف بين الموفق واخيه الخليفة مرتكزا لموقفه ضد الموفق وجرت ألسنة الشعراء الموالين لابن طولون والمنتفعين من وجوده والمقتنعين بموقفه في مدحه وذم خصومه لخلق رأي عام وتحريض الناس واشعال حماستهم ضد الموفق من ذلك على سبيل المثال ما قاله اسحق بن طريف المخزومي :

كيف يرجى للعهد من نقض العهـ ٠٠٠ د ولم يرع حرمة الاجداد

ناكث قد أضل قوماً اطاعو ٠٠٠ هـ على نكث بيعة وفساد

أي صوم لنا واي صلاة ٠٠٠ وإمام الهدى أسير الاعادي

أي عذر لكم بخذل إمام ٠٠٠ لابسٍ ثوب خيفةٍ واضطهاد [١٠١]

وقال النابلسي الضرير في مدح ابن طولون :

يا سمي النبي لا نسي ٠٠٠ الله لك الذب عن حريم النبي

دولة الدين والخلافة عزت ٠٠٠ لا بالطريد عنها البغي [١٠٢]

وقال عبد الرحمن بن سلامة الشيباني :

هذا الخليفة في فنا اعدائه ... متذلل لهم اخو استسلام

متوقع للقتل كل عشية ... وصباح يوم غدا من الايام

(١٠٠) سيرة احمد بن طولون ،ص٢٩٩.
(١٠١) البلوي ، سيرة احمد ص٣٠١.
(١٠٢) البلوي ، سيرة احمد ص٣٠١. والمقصود بالطريد هو ابا احمد الموفق حيث ان الخليفة المهتدي كان قد نفاه سنة (٢٥٣هـ) ولكن المعتمد ارجعه ،ينظر، الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٩،ص٣٧٧، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٢، ص٦٤ ، ولمزيد الاطلاع عن الاشعار التي نظمت لمدح ابن طولون ينظر، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٤٩، ص٣٤٤.

يبكي على اولاده وعياله ... كبكاء ذات الثكل والايتام

غدروا به غدر الجحود لكل ما ...قد اولاهم من الانعام [١٠٣]

وبدا واضحاً ان سياسة الموفق قد فعلت فعلها في الناس ، فكان من أثر لعن الخليفة ولعن ابنه المفوض واخيه الموفق لابن طولون ثم انشقاق القائد لؤلؤ الطولوني ومن معه من القواد والتحاقه بابي احمد الموفق وبعدها عزل احمد ابن طولون عن مصر والشام أن ضعف نفوذه في البلاد التي دانت لسلطانه، فقد كان من اثر الدعاية الواسعة التي نشرها الموفق ضده ان حلت به الهزيمة لاول مرة في مدينة طرسوس ومات اكثر جنده من البرد بسبب غرق امتعتهم ، ففي سنة (٢٦٩هـ / ٨٨٢م) تمرد اهل طرسوس عليه وخرجت المدينة عن سيطرته وترك اهلها الدعاء له ولعنوه على المنابر[١٠٤]، فلما فبلغه ذلك خرج على رأس جيشه الى بلاد الشام لاخضاع المدينة لسلطانه فما ان بلغ الخبر اهل طرسوس شرعوا الى سد ابواب المدينة بوجهه خلا باب الجهاد وباب البحر،وبثقوا الماء واغرقوا المنطقة بجيشه حتى وصل الماء الى قرب مدينة اذنة وما حولها فاجتمع الغرق وشدة الامطار والثلوج على اجباره على الانسحاب بجيشه نحو مدينة دمشق [١٠٥] .ولكن يبدو انه اراد ان يحقق مكسباً من نوع آخر وفي ساحة اخرى مكرراً محاولة فرض نفوذه على المركز الروحي وكعبة المسلمين مكة المكرمة عندما ارسل حملة لذلك الغرض سنة (٢٦٩هـ/ ٨٨٢م) إلا ان الهزيمة حلت به ولعن في المسجد الحرام [١٠٦]. ويبدو من سير الاحداث ان ابن طولون لم يشأ الدخول في حرب ضد ابي احمد الموفق إرضاءً للخليفة الضعيف واكتفى باللعن وقطع الخطبه له باعتباره ولياً للعهد ،كما كان الموفق هو الآخر ميالاً لتسوية سلمية مع خصمه تجنبه صداماً قد لا يكون مستعداً له في الوقت الحالي ومن هنا نلاحظ انه رفض ارسال حملة لمصربقيادة لؤلؤ – مولى ابن طولون– الذي الذي ابدى حماسة كبيرة لقتال ابن طولون الذي كان سيده بالامس [١٠٧]، بل ذهب ابعد من ذلك وتقدم خطوة اخرى نحو ابن طولون عندما طوى صفحة الخلاف مكتفياً بتوبيخه على ما بدر منه من خلعه واسقاط اسمه ولعنه يلومه على تسرعه وانه لم يكن هناك ما يوجب ذلك مبيناً موقفه تجاهه وانه أي الموفق ان ما بدر منه من لعن وغيره انما كان عل كره منه [١٠٨] ،وفي الوقت نفسه داعياً اياه الى الجنوح للسلم وللصلح ، اما ابن طولون فقد كانت مبادرة الموفق مبعث سروره له وفرصة لتسوية الامور وازالة القلق فضلاً عن مكسب اهم من كل ذلك هو الشرعية الكاملة غير المثلومة وغير

(١٠٣) البلوي ، سيرة احمد بن طولون ، ص٣٠٠.
(١٠٤) ينظر، الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٩، ص٦١٣-٦١٤،ابن الاثير ، الكامل ، ج٩، ص٣٢٩ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج٣، ص٥٧.
(١٠٥) ينظر، البلوي ، سيرة احمد بن طولون ، ص٣١١، الكندي ، الولاة والقضاة ، ص٢٢٩، الطبري، تاريخ الرسل ، ج٩، ص٦١٤ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج٣، ص٥٧.
(١٠٦) ينظر، الطبري ، تاريخ الرسل ، ج٩، ص٦٥٢-٦٥٣، ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج١٤،ص٥٨٣، حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي ،ج٣،ص١٣٦.
(١٠٧) ينظر، البلوي ، سيرة احمد بن طولون ، ص٣٠٢.
(١٠٨) المصدر نفسه ، ص٣٠٣.

المتأرجحة وكاد ذلك ان يتحقق ذلك لولا ان المنية عاجلته في ذي القعدة من سنة (٣٧٠هـ /٨٨٣م) قبل ان تفضي المفاوضات الى اتفاق [١٠٩].

الخاتمة

مر بنا كيف ان ضعف الخلافة وتراخي قبضتها على مفاصل الدولة واطرافها ادى الى تنامي قوى الاطراف وانسلاخها عن جسم الدولة شيئاً فشيئاً مستغلة الاوضاع السيئة التي مرت بها الدولة العباسية وأسست دولاً كادت ان تكون مستقلة عن مركز القرار في الدولة العباسية كما هو الحال بالنسبة للدولة الطولونية ، وبينا سياسة ابن طولون في التعامل مع الخلافة العباسية ونجاحه في كسب ثقة الخليفة ليمد نفوذه ويبسط سلطانه على منطقة بلاد الشام بعواصمها وثغورها المحاددة للامبراطورية البيزنطية مستغلاً الظروف الحرجة التي مرت على الخلافة آنذاك جراء حربها مع الزنج وموقف سكان الثغور وولاتها من القوة الجديدة القادمة من مصر وحنكة ابن طولون في احتواء تناقضات وملابسات اللاوضاع والمواقف في المنطقة .

كما بينا خلال البحث اهمية المدن الثغرية في استراتيجية الدفاع والهجوم للدولة العباسية وضرورة الاهتمام بها وتحصينها وشحنها بالمقاتلة للمحافظة على سيادة الدولة وهيبتها امام الامبراطورية البيزنطية التي ما انفكت تتحين الفرص وتستغل الظروف لتحقيق مكاسب عسكرية على حساب المسلمين والامر المهم الآخر الذي حاولنا بيانه هو الأثر السيء الذي طالما انعكس على مناطق الثغور من جراء الصراع الحاصل بين الدولة الطولونية ومركز القرار في العاصمة سامراء ولاحظنا ان عدم الاهتمام بالمناطق الثغرية او سوء اختيار او المحاباة في اختيار من يتولى مسؤولية الدفاع عنها كيف يؤدي الى حدوث فجوة قد امام العدو قد يصعب ردمها كما حصل حين سلم اهل طرسوس قلعة اللؤلؤة للقوات البيزنطية.

وسلطنا الضوء على سياسة ابن طولون في عدم الاكتفاء بمنطقة بلاد الشام ومحاولاته فرض سلطته على المركز الروحي للمسلمين وقبلتهم وفشله في ذلك كما فشل في الاحتفاظ ببلاد الشام التي اخذت تخرج عن قبضته يوما بعد آخر بعد ان اظهر الخليفة اللعن له واثر ذلك في فقدانه مكتسباته على جغرافية بلاد الشام وفي نفوس سكانها .

وخلاصة القول ان ضعف الخلافة في الدولة العباسية ساعد على بروز قوى اخرى فرضت نفسها على الواقع السياسي والعسكري ولم يكن امام الخلافة إلا التسلسم للأمر الواقع وتكييف نظم الدولة على اساس ذلك فشرع ما سمي بإمارة الاستيلاء واصبح ذلك من الأمور الطبيعية التي شكلت جزءا من وجود الدولة وهيكلها الاداري والسياسي واصبح من طبيعة الحال ان تكون القوى الانفصالية شريكا مع مركز القرار في رسم سياسة المنطقة

(١٠٩) ينظر، الكندي ، الولاة والقضاة ، ص٢٣١، البلوي سيرة احمد بن طولون، ص٣٠٤-٣٠٥.

ومستقبلها كما هو الحال مع احمد ابن طولون في مصر الذي اجتهد خليفة المسلمين الالتجاء اليه والاستقواء به واضفاء الشرعية الدينية والروحية لوجوده الذي امتد من اقاصي المغرب الى اكناف العراق ، ولا شك ان نتائج مثل تلك المواقف والسياسات – كما مر – سواء كانت سلبية او ايجابية انعكست بشكل او آخر على الاوضاع في المدن الثغرية وفي الموقف سواء العباسي او الطولوني من العدو التقليدي المتربص بالمسلمين الدولة البيزنطية .

قائمة المصادر

(١) ابن الأثير ابو الحسن علي بن أبي الكرم بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ،الكامل في التاريخ، راجعه وصححه د. محمد يوسف الدقاق (ط١،دار الكتب ، بيروت ١٩٨٧م).

(٢) البغدادي ،، ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت٧٣٩هـ/١٣٣٧مـ)، مراصد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق، علي محمد البجاوي (بيروت١٩٩٢م، ط١).

(٣) البلاذري ،احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ/٨٦٢م)، فتوح البلدان، باشراف لجنة تحقيق التراث (بيروت، ١٩٨٣م، ط١).

(٤) البلوي ،عبد الله بن محمد المديني (منتصف القرن الرابع الهجري)، سيرة احمد بن طولون ، تحقيق، د. محمد كرد علي (مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د،ت).

(٥) ابن تغرى بردي ، جمال الدين ابي المحاسن يوسف ابن تغرى بردى الاتابكي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين (ط١، دار الكتب ، بيروت ١٩٩٢م)

(٦) ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١١٨٣م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق ، محمد عبد القادرومصطفى عبد القادر(ط١، دار الكتب ، بيروت ١٩٩٢م).

ابن حوقل ، ابو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م)، كتاب صورة الارض (ليدن ١٩٣٨م) .

(٧) ابن خلدون ،عبد الرحمن بن محمد المغربي (٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر ، تحقيق ، الاستاذ خليل شحادة ،مراجعة د. سهيل زكار(بيروت ٢٠٠٠م).

(٨) ابن خلكان ،شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر(ت ٦٨١هـ١٢٨٢م) ،وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق، د. احسان عباس (دار صادر ، بيروت د،ت) .

(٩) خليفة بن خياط، ابو عمرو بن ابي هبيرة الليثي العصفري (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤مم)، تريخ خليفة بن خياط ، تحقيق ،د. اكرم ضياء العمري (ط٢ مزيدة ومنقحة ، دار طيبة ، الرياض ١٩٨٥م) .

(١٠) الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) ،تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، د.عبد السلام التدمري (ط١، دار الكتاب، بيروت ١٩٩٢م) .

١-

(١١) ابن شداد،عزالدين محمد بن علي بن ابراهيم (ت٦٨٤هـ ١٢٨٥م)،الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة،تحقيق،يحيى زكريا عبارة(دمشق، ١٩٩١م).

(١٢) الاصطخري ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي(ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) ، مسالك الممالك (ليدن بريل ،د.ت).

(١٣) الصفدي ، صلاح الدين خليل ابن ايبك (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) ، تحفة ذوي الالباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب ، تحقيق ، احسان بنت سعيد خلوصي وزهير حميدان الصمصام (وزارة الثقافة السورية ، احيار التراث العربي رقم ٨٥ لسنة ١٩٩١م) .

(١٤) الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير(٣١٠هـ/٩٢٢م) ، تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق ، محمد ابو الفضل ابراهيم ،(سلسلة ذخائر العرب -٣٠- ط٢ منقحة ،(دار المعارف ،مصر ١٩٧٥م).

(١٥) ابن الطقطقى ، محمد بن علي بن طباطبا (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية(دار صادر ، بيروت د.ت) .

(١٦) ابن العديم ، كمال الدين أحمد بن ابي جرادة (٦٦٠هـ/١٢٦١م).

(١٧) ابن عساكر ،ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧٩هـ١١٨٣م) ، ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق، علي شيري (ط١، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٧م). ١- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق، سهيل زكار ،(بيروت ١٩٨٨م).

٢- زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق ،د. سهيل زكار (ط١، دار الكتاب العربي دمشق – القاهرة ١٩٩٧م).

(١٨) ابن العماد الحنبلي ، شهاب الدين عبد الحي بن احمد الدمشقي (١٠٨٩هـ/ ١٦٧٩م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، تحقيق ، محمود الارناؤوط (ط١، دار ابن كثير، بيروت ١٩٨٨م).

(١٩) ابو الفدا ، عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ١٣٣١م) ، المختصر في اخبار البشر ، تاريخ ابي الفداء(مكتبة المتنبي ، القاهرة . د،ت).

(٢٠) قدامة ،ابي الفرج بن جعفر الكاتب البغدادي (٣٣٧هـ/ ٩٤٨م)، نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ملحق بكتاب المسالك والممالك، لابن خرداذبة، ابي القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)، (ليدن، ١٨٨٩م).

(٢١) القضاعي ، محمد بن سلامة بن بن جعفر (ت ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م)، تاريخ القضاعي ،كتاب عيون المعارف وفنون اخبار الخلائف ، تحقيق ، د، جميل عبد الله محمد المصري (المملكة العربية السعودية ١٩٩٥م) .

(٢٢) ابن كثير ،عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) البداية والنهاية، تحقيق، ، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي (مصر، ١٩٩٨م، ط١).

(٢٣) الكندي ،محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م)، كتاب الولاة وكتاب القضاة ، تصحيح ، رفن كست (مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١١٩٠٨م).

(٢٤) الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد ابن حبيب البصري (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) ، الاحكام السلطانية ، تحقيق ، احمد نجاد(دار الحديث ، القاهرة ٢٠٠٦م).

(٢٥) المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر(ط١، بيروت ٢٠٠٥م).

(٢٦) المقدسي ، محمد بن احمد البشاري (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م) ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ط٣ القاهرة ١٩٩١م).

(٢٧) ياقوت ،شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان (بيروت ، ١٩٧٧م) .

المراجع والبحوث

(٢٩) ايوب ،د. ابراهيم ، التاريخ العباسي السياسي والحضاري (ط١، بيروت ١٩٨٩م) .

(٣٠) بيطار ،د. امينة ،تاريخ العصر العباسي (ط٤، دمشق ١٩٩٦-١٩٩٧م).

(٣٠) حسن ، د. حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسي الديني والثقافي والاجتماعي (ط١٤، دار الجيل ، بيروت ١٩٩٦م) .

(٣١) حماده، محمد ماهر ،الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة(٢٤٧-٦٥٦هـ/٨٦١-١٢٥٨م)،(سلسلة وثائق الاسلام ، العدد ٣، بيروت، ١٩٨٥م ،ط٣).

(٣١) دياب ، صابر محمد، المسلمون وجهادهم ضد الروم في ارمينية والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجري (مكتبة السلام العالمية ١٩٨٤م).

(٣٢) الصالحي ،عبد الحسين ، الثغور (بحث منشور في دائرة المعرف الاسلامية الشيعية)،د.حسن الامين (بيروت ٢٠٠٢م،ط٦).

(٣٣) عثمان، فتحي، الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري (القاهرة، ١٩٦٦م) .

(٣٤) علبي، احمد، ثورة الزنج (بيروت ١٩٦١م).

(٣٥) كاشف ، د، سيدة اسماعيل احمد بن طولون (إعلام العرب ، رقم ٤٨، المؤسسة المصرية للنشر والتأليف ،د،ت).

(٣٦) مأمون ، جيهان ممدوح ، الدولة الطولونية والاخشيدية في مصر (ط١، سلسلة عصور مصرية ،مصر ٢٠٠٩م).

(٣٧) نوري، موفق سالم، العلاقات العباسية البيزنطية،١٣٢- ٢٤٧هـ/ ٧٥٠-٨٦١م (بغداد، ١٩٩٠م، ط١).

المراجع الاجنبية المترجمة

(٣٩) لسترانج،كي،بلدان الخلافة الشرقية،ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد (مؤسسة الرسالة د٠ت).

(٤٠) هونجمان،الثغور،بحث منشورفي(دائرة المعارف الاسلامية،ترجمة احمد الشناوي واخرون،بيروت د.ت).